الإسلام: ثورة على الجريمة

للأستاذ محمود محمد عماره المدرس بمعهد دسوق

الإســـلام فى جوهره دعوة إلى السلام . . دعوة إلى الحياة فى ظلال عاطفة شريفة هى : الحب ! وعندما تصافح آذاننا كلمة « إسلام » وعندما تبصرها أعيننا حبرا على ورق . . لا نسمع كلمة . . ولا نرى خطا . .

وإنما يحس الإنسان إزاءها بروح شفاف يسرى فى كيانه كله . . يعيش معه فى برد الطمأنينة . . وسكينة القرار ومن أجل هذا الحب خلقنا . . وبه وحده نستطيع أداء رسالتنا على بسيط الأرض . . . يقول تعالى :

« يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل .. لتعارفوا » فالإنسان عدو ما يجهل . . وبالتعارف تتقارب مسافة الخلف بين الشخصين . . فينشأ الحب الناتج عن المعرفة . .

ومن هنـــا تتجمع القوى . . وتتلاقى الجهود . . فى قناة فولاذية واحدة . . لتنطلق فى آفاق الحياة كقوة هائلة . .

كقذيفة مسددة تخترق قناة من حديد ! ! الحب إذن . . وثمرته الأمن والطمأنينة . . هو حجر الزاوية فى شخصيه الإنسان . .

وكما تلتقى الروافد جميعا وتتلاشى فى البحر الكبير . . تلتقى الفضائل كلها فى هذه الكلمة الرضية الحانية :

العفة - الشجاعة .. الصدق .. الوفاء .. كلها مفاهيم تنضوى تحت راية هذه الكلمة الخالدة . . الحب ! !

ومن أجل ذلك .. جاهد الصوفيون جهادا كبيرا ..

جاهدوا لتثبيت دعائمها كشرعة للحياة ومنهاج ..

ولم يكونوا بين الجماعات البشرية بدعا .. إنما هو رجوع بنا إلى المنبع الأصيل .. الذى عكرت صفوه غاشيات الهوى .. فتغير طعمه ولونه حتى يعود كما تركه لنا الرسول العظيم . عذبا فراتا .. وبذلك يبطل زعم الذين يحاولون هدم الإسلام .. من أعداء الحياة ..

فيصورونه كالوحش الجسور .. ويصنعون له من خيالهم مخالب وأنيابا حيث زعموا أن انتصاره بالسيف .. بترويع الآمنين ..

ولا على الاسلام من ذلك كما يقولون « لقد أدى الاسلام واجبه فى كسر شوكة العدوان .. وفى قهر الضلال على التراجع وعلى ترك المكاسب الطائلة التى حصل عليها .

فليسمع الشتائم والتهم من السلطان المعزول أو من الوحش المقهور .

فلأن يشتم الاسلام وهو حى يؤدى رسالته النبيلة .. أفضل من أن يبيد ثم نسمع فيه كلمات الرثاء » ! !

وتلك كلمات أقدمها - ياقارئى العزيز - بين يدى بحثنا هذا ..

لأقفز معك إلى نقطة أخرى فأقرر : إن دينا يدعو إلى الحب .. لهو أحرى الأديان بمكافحة الجريمة بجميع صورها وأشكالها :

ذلك ..

لأن الجريمة غول بشع .. يلتهم فى سعار حصاد الحب وثماره .. التى هى الأمن والسكينة كما بينت لك آنفا .

فكيف حارب الإسلام الجريمة إذن ..

كيف صاغ نفسية الانسان وهيأها للسلوك الراشد السوى ؟

لنبدأ معه من أول الشوط :

إنه يحارب دوافع الجريمة فى الانسان .. قبل أن يكون نطفة تخرج من بين الصلب والترائب !

يقول تعالى :

« وأنكحوا الايامى منكم والصالحين من عبادكم وإمائكم » .

ويقول صلى الله عليه وسلم .

« تخيروا لنطفكم فان العرق دساس » وهذه إشارة ضخمة إلى مبلغ تأثير الوراثة فى تكوين الخلق .

وبذلك يمشى مع العلم جنبا إلى جنب — فاذا أراد الانسان اختيار شريكة حياته .. فليحاول أن يختارها صالحة خيرة .. تعيش فى بيئة نظيفة طاهرة ..

ذلك لأن العرق دساس ..

والانسان منا كما يقولون كالعربة يحمل كل خصائص آبائه وأجداده : فلا تختر شريكة حياتك من أسرة اشتهرت بمرض معين .. حتى لا يخرج طفلك فريسة لهذا المرض . فيضطرب مزاجه ويختل عقله وبذلك يفعل الجريمة هكذا تلقائيا ! !

ولا تختر شريكة حياتك من أسرة تميزت بالسرقة .. أو الكذب .. أو سفك الدماء ..

حتى لا يخرج ابنك إلى الحياة وفى تكوينه بذور تلك الرذائل جميعا !

فاذا ما تفتحت أبواب الحياة لتستقبل مولودا جديدا .. فماذا أعد له الاسلام من مبادئ وقواعد حتى

لا يزل فيضل ؟ إن واقع الحياة .. وحركة التاريخ يقرران :

إن المرء وحده ضعيف . . لا يستطيع أن يأخذ من الطبيعة كل شيء تهفوا إليه نفسه ويتطلع فؤاده ،

ومن أجل ذلك نجده فى حاجة ماسة إلى جماعة يتفيأ ظلالها .. ويرتبط بها . . لكى يحصل فى أكنافها على ما تصبو إليه نفسه .

ولكى يكون الغنم بالغرم . لابد له من الخضوع لهذه الجماعة واحترام قوانينها . فى نظير حمايتها له . وتحقيقها لرغباته .. فهو مسئول أمامها عن كل عمل يجترحه . وكل لفظ من شانه أن يمس كرامتها ويضر بمصلحتها .

وشعور الإنسان بهذه المسئولية ، عامل هام فى تحديد سلوكه . وتهذيب تصرفاته ..

ولو خف هذا الشعور .. وخبا ضياؤه جمح بالانسان هواه . فانتهك حرمات الآخرين . دون نظر إلى عرف أو قانون ..

وهنا مربط الفرس .. حيث تنشأ الجريمة وتستجمع قوتها ..

وهل الجريمة إلا استهتار ناشيء عن عدم تقدير الشخص للآخرين . وعن تبرير تصرفه .. وإلقاء تبعة جريمته على المجتمع .. الذى لم يهيء له فرصة العمل فسرق .

ولم يمهد له أسباب الزواج . فزنى ولم يضمن له العيش الهنيء .. فطغى فى البلاد وأكثر فيها الفساد ..

وهنا تتطلع النفوس إلى الدين ليقوم بدوره الفعال فى هذا الميدان . فترى التربية الدينية تركز على الشعور بالمسئولية هذا .. وعلى فردية التبعة :

فتنمى هذا الشعور .. وتعمق بجراه فى الذات ..

بمعنى أنها تغرس فى الوجدان وفى العقل أن ثمرات أعماله سيجنيها هو وحده .. إن خيرا فخيرا .. وإن شرا فشراً ..

فليس هو مسئولا أمام الجماعة فقط .. بل مسئول أمام الحق تبارك وتعالى :

« يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء »

« يوم يتذكر الانسان .. وأنى له الذكرى .. يقول : ياليتنى قدمت لحياتى »

واستحضار المرء لهذا المعنى لاشك أنه سيدفعه إلى عمل الخيرات وتجنب السيئات ..

والحديث الشريف يجسم هذا المعنى « أعبد الله كأنك تراه .. فان لم تكن تراه فانه يراك .. »

أى اشعر أثناء عملك أنك مسئول عنه أمام الله سبحانه . وإذن فستحاول فى ظل هذا الشعور ألا تنصت إلى حديث نفسك الأمارة بالسوء .. وستكون فى سلوكك مثال الكمال والجمال .

والآيات الكريمة : والأحاديث الشريفة يأخذ بعضها بحجز بعض فى التركيز على هذا المعنى .. أى فى تكوين الشعور بالمسئولية : « وأن ليس للانسان إلا ماسعى وأن سعيه سوف يرى »

« بل الإنسان على نفسه بصيره »

« كل نفس بما كسبت رهينة »

« لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت »

« من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها »

« فمن اهتدى فلنفسه . . ومن ضل فانما يضل عليها »

« كل امرىء بما كسب رهين »

« كلكم راع . . وكل راع مسئول عن رعيته »

إلى غير ذلك من النصوص التى من أجلها يعمل عمله .

أى أنها تحيى فيه الضمير . . ليكون ديدبانا يقظا . . حكما عدلا وقاضيا نزيها . . يشكل أفعال الانسان على النحو الذى ينسجم به مع المجموعة التى يعيش بينها .

بحيث يسعد . . ويسعد من حوله الآخرون ؟

وإلى العدد القادم إن شاء الله

محمود محمد عماره

المدرس بمعهد دسوق الدينى

أمانة رواة الحديث

خرج البخارى رضى الله عنه بطلب الحديث من رجل فرآه قد هربت فرسه ، وهو يشير إليها بردائه كأن فيه شعيرا فجاءته فأمسكها

فقال للرجل : أكان معك شعير؟

قال : لا ، ولكن أوهمتها .

فقال البخارى : لا آخذ الحديث عمن يكذب على البهائم ..